موجز السياسات :

أكتوبر 2025

نساء الواحات: ركائز الصمود والتنمية المستدامة في تونس

فاطمة عريبي

أستاذة مساعدة في التعليم العالي الزراعي

مخبر الاقتصاد والمجتمعات الريفية، معهد المناطق القاحلة بمدنين

نسرين العباسي

باحثة في اقتصاد التنمية الجهوية

مخبر الاقتصاد والمجتمعات الريفية، معهد المناطق القاحلة بمدنين

محمد جواد

أستاذ في التعليم العالي الزراعي

مخبر الاقتصاد والمجتمعات الريفية، معهد المناطق القاحلة بمدنين

تم إعداد هذا المستند في إطار البرنامج التوجيهي الذي تديره مؤسسة الدراسات والبحوث في مجال التنمية الدولية (فيردي)، ضمن مشروع «معارف اقتصاد تونس، الممول من قبل الاتحاد الأوروبي وتقوم بتنفيذه الوكالة الفرنسية للخبرة الفنية الدولية

شكر وتقدير :يعرب المؤلفون عن شكرهم للمُرشدة، الدكتورة أريان تيشيت، أستاذة محاضرة في الاقتصاد بجامعة كليرمونت أوفيرن

جهة الاتصال: fatmaribi@gmail.com, abbassi.nessrine@yahoo.com

FONDATION POUR LES ÉTUDES ET RECHERCHES SUR LE DÉVELOPPEMENT INTERNATIONAL

EXPERTISE FRANCE GROUPE AFD

Financé par l'Union européenne

نساء الواحات: ركائز الصمود والتنمية المستدامة في تونس

«الواحة، هي كل حياتي، وقصتي، وذكرياتي.» (المشاركة 2)

الرسائل الرئيسية

- تؤدي نساء الواحات دورًا أساسيًا في مجال **الاستدامة الاقتصادية والبيئية** للواحات التونسية.
- لا تزال جهودهن محدودة **نتيجة لضيق فرص الوصول إلى الأراضي والمياه والتمويل ومراكز صنع القرار.**
- يؤدي **تغير المناخ** إلى تفاقم القيود الإنتاجية ويهدد نقل المعارف والخبرات.
- يشكّلُ كلٌّ من **التكوين والاعتراف المؤسسي وتثمين المعارف والخبرات**، عوامل فورية لتحقيق التمكين الذاتي وتعزيز القدرة على التكيف.
- تُحافِظُ النساء على **استمرارية التراث الواحاتي** وتدعم **التماسك الإقليمي**، رغم ضعف تمثيلهن في مجال صنع القرار.

أولاً: السياق والتحديات

الواحات التونسية هي أنظمة بيئية عريقة تمتد لآلاف السنين، تقوم على توازنات دقيقة بين الموارد الطبيعية والمعارف المحلية والتضامن المجتمعي. تواجه الواحات اليوم مشاكل عديدة مثل ندرة المياه وملوحة التربة والضغط الصناعي. في هذا السياق، تلعب النساء دورًا أساسيًا في الحفاظ على الواحات وتنميتها، ولكن غالبا ما يتم التقليل من شأن هذا الدور. فمن خلال انخراطهن في أنشطة الإنتاج ومعالجة الموارد المحلية وتسويقها من تمور، ورمان، ونباتات عطرية، وحرف يدوية، وتربية النحل، أو مستحضرات التجميل، تساهم النساء في تنويع الاقتصاد المحلي، والحفاظ على النظام البيئي، والتكيف مع التغيرات المناخية. رغم ذلك، تظل القيود تحاصر المرأة في فرص الحصول على الأرض والماء والتمويل، بالإضافة إلى ضعف تمثيلهن في أماكن صنع القرار. يؤدي هذا التهميش المؤسساتي للنساء إلى الحدّ من دورهن في الإدارة الجماعية للموارد والتخطيط الإقليمي، في حين أن مشاركتهن ضرورية للتماسك الاجتماعي ونقل المعارف والاستدامة البيئية. ولذلك، فإن الاعتراف التام بدور النساء، وتدعيم قدراتهن على العمل، يمثل شرطين أساسيين لضمان تحقيق الاستدامة البيئية والاقتصادية والاجتماعية في المنظومة الواحاتية.

ثانياً: المنهجية

تقوم منهجية الدراسة على الجمع بين المقاربات النوعية والكمية، وذلك بإجراء **مقابلات شبه منظمة** مع **23 امرأة من واحات ولاية قابس**. يتم بعد ذلك تحليل الروايات المُجمّعة لهذه اللقاءات استنادا على قراءة نوعية معمّقة، تهدف لاستعراض التجارب والمسارات النسائية المتنوعة. ثم يتم تعزيز هذا التحليل، بتنفيذ نهج قياس النص (**ويتضمن التصنيف الهرمي التنازلي، والتحليل العاملي للتطابق**). وقد ساعد هذا التحليل المزدوج على تحديد **الأنماط الرئيسية** للخطاب النسائي التي تتمحور حول الإنتاج، وإدارة الموارد والمشاركة والهوية.

ثالثاً: النتائج

1. نماذج اجتماعية - اقتصادية متنوعة ودور محوري في الإدارة المستدامة للموارد

تحظى نساء الواحات بمستويات تعليمية متنامية، من شأنها أن تزيد من فرصها في التمكين والإبداع؛ كما تمارس الأغلبية **نشاطًا مستقلًا في أطر غير رسمية**، بمتوسط دخل قدره 430 دينارًا تونسيًا شهريًا. **لا يمتلك** ما يقارب

نصفهن **أرضًا صالحة للزراعة، مما يحدّ من فرصة حصولهن على التمويلات اللازمة لتحقيق الأمان الاقتصادي**. كما يمثل تفاوت الفرص في الحصول على الأراضي، المُكتسب أساسًا عن طريق الإرث، عقبة كبرى أمام استقلالهن الاقتصادي. في هذا السياق، ونتيجة للضرورة، تطور **المرأة روح المبادرة المدفوعة برغبة حقيقية في العمل**، فهي تجمع بين مسؤوليات العمل الإنتاجي والالتزامات الأسرية والحفاظ على الواحة؛ وبدلاً من الرضوخ للضغوطات الاقتصادية والاجتماعية، فهي تعمل على وضع استراتيجيات للتكيُّف والتنظيم تتيح لها الإسهام بنشاط في ازدهار وحيوية المنطقة وتحقيق تنميتها المستدامة.

تشكِّل الواحةُ **محورَ التنمية الريفية المحلية**، حيث تتكامل فيها الزراعةُ، وحفظ التراثِ، والإدارةُ الجماعيةُ للموارد. وتضطلع **النساء** فيها **بدور مركزي**: فهن يزرعن، ويسقين، ويُعِدْن تدوير المخلفات، ويحافظن على التنوع البيولوجي، بالإضافة إلى نقل الخبرة في الممارسات المستدامة للأجيال اللاحقة. وعلى الرغم من فرصهن المحدودة في الحصول على الأراضي والمياه، فهم يقمن بالاستفادة من المخلفات الزراعية وإعادة تدويرها، وإدخال محاصيل مقاومة للجفاف، وتجهيز المنتجات المحلية بشكل حرفي. **ومن خلال تنويع أنشطتهن** – كالزراعة المعيشية، وتربية النحل، والحرف اليدوية، والتصنيع الغذائي - فهن **يعززن الأمن الاقتصادي** للأسر، **والمرونة البيئية للواحات**، و**يدعمن التماسك الإقليمي**.

2. الأصوات النسائية في الواحة: بين الاقتصاد، والبيئة، والهوية

إطار – أصوات لنساء

« أبذل جهودًا كبيرة، لكن دخلي يظل ضعيفًا. » (المشاركة 13)

«دخلي يُستخدم بشكل أساسي لإعالة أسرتي بأكملها.» (م1)

«العيش في الواحة هو امتياز. إنها مساحة لا نزال نشهد فيها الطبيعة، والمياه، وأشجار النخيل، والتنوع البيولوجي. ويغمرني الفخر للمساهمة في الحفاظ على هذه الواحة من خلال عملي.» (م5)

يكشف التحليل النصي الإحصائي للمقابلات من خلال التصنيف الهرمي التنازلي عن خمس سجلات رئيسية تعكس ثراء وتعدد التجارب النسائية في الواحات التونسية.

السجل الأول **اقتصادي** (باللون الأحمر)، وهو يُسلّط الضوء على **هَشَاشَة العمل النسوي وصعوبات** الوُصول إلى **التمويل**، **والحماية الاجتماعية**، **والاعتراف المؤسسي**. وعلى الرغم من هذه العقبات، تَظَلُّ النساء ركيزة لدخل الأسرة وتُظهِرنَ صُمُودًا قويًا في مواجهة عدم الاستقرار الاقتصادي.

السجل الثاني **بيئي** (باللون الأزرق)، يُبرِزُ **دور المرأة اليومي كحارسة للحياة**. فهي تقوم بتدوير المخلفات الزراعية، وتعطي الأولوية للبذور المحلية، وتحد من استخدام المُدخَلات الكيماوية للحفاظ على خصوبة الأراضي والتنوُّع البيولوجي في الواحات. وتُمثّلُ خبراتُهَا منهجاً بيئياً تطبيقياً، يقوم على الممارسة والمعايشة اليومية، ويتلاءم مع التحديات المناخية المتزايدة.

أما السجل الثالث (باللون البنفسجي)، وهو سجل يركز على **الجانب التشاركي**، فيشهد على رغبة النساء في **تنظيم أنفسهن ضمن جمعيات ومجموعات**. وعلى الرغم من أن هذه المبادرات غالباً ما تواجه في كثير من الأحيان تحديات في مجال الإدارة الرشيدة أو نيل الصفة الرسمية، فإنها **تعكس تطلعاً راسخاً نحو التعاون والمساهمة الفاعلة في الشأن العام.**

يلي سجل **المشاركة والاعتراف** (باللون الرمادي) حيث ترغب النساء في أن يتم **الاستماع إليهن وإشراكهن بشكل أكبر في القرارات المحلية**، حتى في ظل **هيمنة الرجال على موازين القوى**. وتُؤكد هذه المطالبة بالشرعية الاجتماعية والسياسية على ضرورة اعتماد حوكمة أكثر شمولية.

وأخيراً، يسلط سجل **الهوية** (باللون الأخضر) الضوء على **التعلق العميق بتقاليد الواحة**، والتي تُعتبَر **إرثاً يجب أن تتوارثه** الأجيال بعد **إعادة صياغته**. فالحفاظ على المَعارف والمهارات، ومواصلة العيش في تناغم مع الطبيعة، وتكييف هذه القيم مع التحولات الاجتماعية، يُشكّل بالنسبة لهن مشروعاً مجتمعياً حقيقياً.

وتتلاقى **هذه المحاور الخمسة** عند **هدف موحّد**: **الحفاظ على الحياة في الواحة**، **والمزاوجة بين التنمية والخبرة المتوارثة والاستدامة البيئية**، و**الاعتراف** بمساهمة **المرأة في القدرة الجماعية على الصمود**.

الشكل 1. أصوات نساء الواحات: بين الالتزام، والنقل المعرفي، والصمود (نتائج التصنيف الهرمي التنازلي)

3. بين التوازن والتنازلات في مسارات نساء الواحات

أظْهَرَ التحليل العاملي للمراسلات قراءة آراء النساء، وكشف عن **مسارين رئيسيين واسعين**: هما السعي لتحقيق التوازن بين **الأمن الاقتصادي والحفاظ على الموارد**، والتوفيق بين **الموروث الثقافي** و**الانفتاح على التغيير**. فالنساء الحاصلات على المستوى **الأعلى من التأهيل التعليمي** أو تلك المالكات للأراضي تتمتعن **بقدر أعظم من الاستقلالية وقدرة متزايدة على الابتكار**، في حين تظل **الفئات الأكثر هشاشة** أكثر **اعتمادا** على **المنظومات الأسرية أو المجتمعية**. وعلى الرغم من هذه التباينات، تشترك جميعهن في ارتباطهن القوي بالواحة، بصفتها حيزاً للمعيشة، والعمل، وتوريث الثقافة.

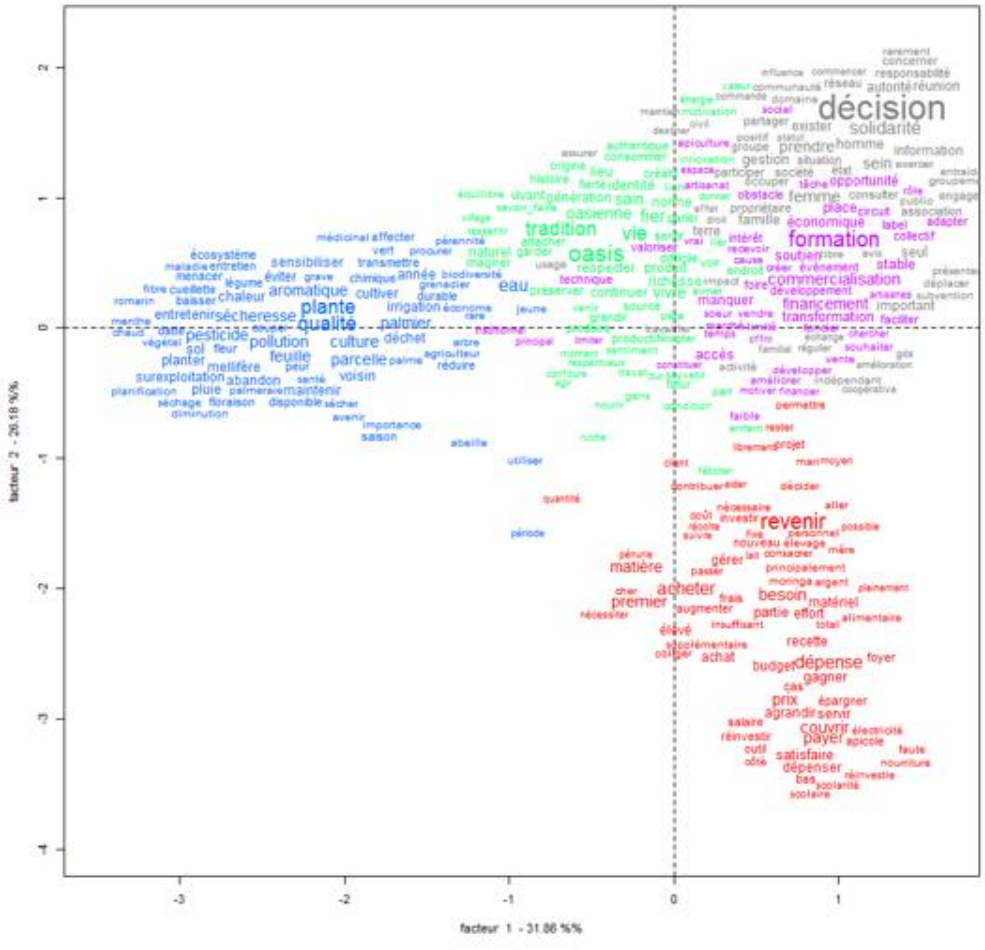

الشكل 2. محاور تحليل أولويات وقيم نساء الواحات (نتائج التحليل العاملي للتطابق)

كما تبرز النتائج تباينات إقليمية مهمة. ففي واحات قابس الجنوبية والحامة وغنوش، تركز الخطاب على إدارة المياه وخصوبة التربة والحفاظ على المحاصيل، مما يعكس وعياً بيئياً مباشراً تجاه آثار التغيرات المناخية والتلوث الصناعي. أما في شنني، حيث ترتفع نسبة ملكية الأراضي النسائية ومستوى التعليم، فيتمحور الحديث بشكل أكبر حول الربط بين التعليم والابتكار وإدارة التراث، مما يعكس توازناً بين التقاليد والانفتاح الاقتصادي.

رابعًا: التوصيات السياسية

تُظهر نتائج هذه الدراسة أن استدامة الواحات ترتكز على **ثلاثة محاور متكاملة: تعزيز المؤسسات المحلية، والاعتراف بدور المرأة، وملاءمة السياسات للاحتياجات البيئية.**

1. المستوى المؤسساتي – الحوكمة الشاملة

- دمج **منظور النوع الاجتماعي** في **السياسات العامة** وخطط التنمية المحلية، بحيث تُدمج متطلبات النساء وأولوياتهن بفعالية في الأنشطة المنفذة في قطاعات المياه والزراعة والبيئة والتنمية المحلية.
- **ضمان حصولهن العادل** على الأراضي، والمياه، والتمويل، وآليات الدعم التقني، بهدف تعزيز استقلاليتهن **وقدرتهن على المشاركة الكاملة في اتخاذ القرارات المحلية**.

- **تعزيز القدرات القيادية،** من خلال برامج بناء القدرات، بهدف دعم **صعود** القيادات النسائية في مجال حوكمة الواحات.
- **الترويج لثقافة مؤسساتية شاملة،** تعترف بمساهمة النساء في استدامة الواحات والتماسك الاجتماعي.

2. المستوى الاقتصادي والاجتماعي – تمكين المرأة والاعتراف بدورها

- تعزيز ودعم **الشبكات النسائية والتعاونيات التضامنية**، بما يشجع التبادل والاستفادة المشتركة من المعارف والموارد.
- إنشاء مساحات **للحوار المنتظم بين نساء الواحات والسلطات المحلية لتعزيز الثقة بين الجانبين والتشاور ومناقشة قضايا الإنتاج والتمويل والتسويق.**
- تسليط الضوء على الدور المحوري **لرأس المال الاجتماعي والمهارات النسائية** في دفع عجلة التنمية المحلية وضمان استمرارية المعرفة بين الأجيال.
- تطوير تسويق المنتجات النسائية والترويج لها من خلال إرساء قنوات تسويقية عادلة ومستدامة لمنتجات المرأة (مثل التمور، الزيوت، الحرف اليدوية، والمنتجات المُصنَّعة).
- **طوير علامة جودة واحاتية والترويج لها**، تعمل على تثمين المنتجات المستمدة من الخبرة النسائية، بهدف توطيد استقلاليتهن الاقتصادية، ورفع مستوى حضورهن، وتعزيز مكانتهن في سلسلة القيمة.

3. المستوى البيئي: صمود متأصل

- **تعزيز تناقل المعارف الواحاتية بين الأجيال:** تنظيم ورشات عمل لتبادل الخبرات بين النساء ذوات التجربة والجيل الشاب حول **الممارسات المستدامة** (كإدارة المياه، والبذور المحلية، والمكافحة الطبيعية للأمراض، وما إلى ذلك...)
- **تحفيز آليات التكيف الجماعي:** تشجيع إطلاق تعاونيات نسائية أو مجموعات دعم متبادل لتجميع واستغلال الموارد المشتركة (مثل مدخلات الإنتاج ومعداته)، بهدف تطوير **ممارسات زراعية أكثر اقتصاداً وقدرة على الصمود والمرونة**.
- إشراك النساء بشكل فعال في الهياكل المحلية لإدارة الموارد والمدخلات (لا سيما جمعيات التنمية الزراعية والشركات التعاونية للخدمات الزراعية)، وذلك لضمان دمج أفضل لمعارفهن وخبراتهن في عمليات التخطيط البيئي.

خامسا: الخلاصة

تمثل نساء الواحات القلب النابض للاستدامة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية في الواحات التونسية. وتُعد مساهمتهن الجوهرية، التي لا تزال تُغفل في كثير من الأحيان، شرطاً أساسياً لضمان مرونة هذه المناطق وقدرتها على الصمود في وجه التحديات المناخية والاقتصادية. ولذلك، يشكل تمكينهن من الوصول إلى الموارد، والتعليم، وعمليات صنع القرار العام، رافعة استراتيجية محورية للحفاظ على هذه النظم البيئية وضمان تحقيق التماسك الإقليمي المنشود. إنّ الاعتراف بدور النساء ودمج معارفهن في سياسات التنمية من شأنه أن يجعل من الواحات مختبرات للابتكار الاجتماعي والبيئي، حيث تتضافر التقاليد والحداثة لبناء مستقبل مستدام ومتكامل.

التعريف بالمخبر

يقوم مخبر الاقتصاد والمجتمعات الريفية(LESOR)،التابع لمعهد المناطق القاحلة بمدنين بإجراء الأبحاث حول الديناميكيات الاجتماعية والاقتصادية والإقليمية في المناطق القاحلة بالجنوب التونسي. ويهتم المخبر بشكل خاص بتحولات المجتمعات الريفية والإدارة المستدامة للموارد الطبيعية وتطوير الواحات والأنظمة الرعوية. وتهدف أعماله إلى توجيه السياسات العامة وتعزيز قدرات الجهات المعنية المحلية من خلال الدراسات التطبيقية والشراكات الميدانية ونشر النتائج العلمية. ويساهم مخبر الاقتصاد والمجتمعات الريفية، عبر اتباع منهج متعدد التخصصات، في فهم أعمق للتفاعلات بين الاقتصاد والمجتمع والبيئة في المناطق القاحلة

.

نبذة عن مشروع Savoirs éco

منذ 1 فيفري 2023، تنفذ مؤسسة Expertise France مشروع "نحكيو اقتصاد" (Savoirs éco Tunisie) بتمويل من الاتحاد الأوروبي بقيمة 4.5 مليون يورو لمدة 3 سنوات.

يهدف المشروع إلى دعم الحوارالعام حول القضايا الاقتصادية في تونس من خلال تعزيز الهياكل المنتجة للمعرفة الاقتصادية: (1) الهياكل العامة للتحليل الاقتصادي ودعم اتخاذ القرار؛ (2) مختبرات البحث في الاقتصاد؛ (3) مراكز الفكر (think-tanks) المنبثقة عن المجتمع المدني.

يقدم المشروع الدعم الفني والمالي في ثلاثة مجالات: تعزيز قدرات الهياكل المنتجة للمعرفة الاقتصادية؛ دعم إعداد الدراسات/موجزات السياسات من قبل الهياكل المنتجة للمعرفة الاقتصادية؛ دعم نشر وتعميم وتجربة توصيات الدراسات/موجزات السياسات. ولتسهيل تنفيذ هذه الأنشطة، تعمل Expertise France مع أربعة شركاء تنفيذيين: مؤسسة الدراسات والبحوث في مجال التنمية الدولية (Ferdi) ؛ شبكة التنمية العالمية(GDN)؛والمعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية (INSEE)